حكايات شعبية تونسية

على صوت الأجداد والكبار إجتمعنا
وتعلمنـــا ..ما أروع القصص الشعبية
وما أجمل أن نلتقي على وجدان أمة
واحـدة ترينا وكبرنا في أحضانهـــا
ومن تونس وإلى تونس نهـدى بعضا
من كنـوزها لأطفال الأمـة العربية.

تحية وتقدير من مصر
لكل طفل عربي...

د. نبيلة حسن سلام



وزارة الثقافة
المجلس الأعلى للثقافة
المركز القومي لثقافة الطفل

الحكاية الشعبية فى كل العالم تُصدق أن (السعد وعد) وأن (الدنيا حظوظ)
هل تتفقون مع هذا القول أم تختلفون..؟
لا تجيبوا ولا تعلنوا عن رأيكم إلا بعد أن تتصفحوا هذه الحكايات الجميلة التى جمعها المرحوم عبد العزيز العروى (١٨٩٨-١٩٧١) وقد اخترناها من بين عشر حكايات جمعها ونشرتها الدار التونسية للنشر تحت عنوان (حكايات العروى) قبل ٣٥ عاماً باللهجة العامية التونسية وهو قد جمع مائتى حكاية شعبية أحبها الأطفال عندما قدمها فى الإذاعة التونسية وأصبح بعدها يلقب بـ (بابا عزيز)

وقد تابعها الأطفال العرب فى جميع أرجاء المغرب العربى فى تونس ،ليبيا،الجزائر والمغرب وها هى تصدر من القاهرة / مصر التى شيدها المعز لدين الله الفاطمى والذى وحد المشرق والمغرب العربى، وبنى الأزهر الشريف الذى صار الخضر حسين (التونسى) شيخاً له بقرار من الزعيم جمال عبد الناصر.



حكايات شعبية تونسية



بابا عزيز العروى
يحكى لكم :

* الحظ والمال
* السعد وعد
* العقل والحظ

بقلم
عبد التواب يوسف

رسوم
نور الدين زنجانى



حكايات
شعبية تونسية

الناشر : المركز القومى لثقافة الطفل

رئيس المركز : د. نبيلة حسن سلام

تنفيذ فنى : سامية أبو الحسن
منى حلمى
سكرتاريه فنية : محمد مختار
مروه ياسين
مراجعة لغوية : أحمد طلب

رقم الإيداع : ٧٠٦٨ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى: 3 - 1473- 08 - 977





الحظ و المال



جلس الفتى , وقد أسند ظهره إلى حائط على الطريق , ثيابه رثة وذباب كثيف يحيط به, ويحط عليه. وهو لا يتحرك ليبعده عنه, والناس ترقبه عن بعد وما من أحد يقترب منه, أو يهتم به.. ولو أنهم دققوا النظر إليه لأدركوا ورأوا (البؤس) قد ركب على كتفيه وأدلى بساقيه وقدميه يهزهما على صدره

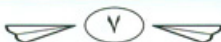
مرّ السعد أمامه,وتوقف عنده محدقاً فيه. واستطاع أن يرى المشهد كاملاً وضاق به كثيراً. ولم يسكت_ بل رفع صوته فى مواجهة البؤس.

- إنزل من مكانك
- من تكون أنت لكي تلقى عليّ أوامرك
- فلأكن من أكون, ألا يرق قلبك لهذا الفتى المسكين ؟؟
- لا.... إنه حظه فى هذه الدنيا
- أما من سبيل لكي يعتدل ويتحسن ؟
- لا.... هو لا يحرك ساكناً, ولا ينهض لأى عمل, ولا أمل فيه
- كيف ينهض وأنت تركبه... إهبط واتركه
- لا...لن أفعل .. امض أنت فى طريقك ولا شأن لك به
- إذن. أنا مضطر لأن أزيحك بالقوة..

وتقدم السعد ليمسك بتلابيبه. فانشب فيه البؤس أظافره, وقامت بينهما معركة حامية الوطيس, لم يشهدها أحد من قبل , ولم يشعر بهما الفتى القابع فى مكانه وتضارب الطرفان بقوة وعنف, وبعد صراع مرير تمكن السعد من الإمساك بساقيّ البؤس وانتزعه من مكانه , وأطاح به بعيداً....

عندئذٍ دبت الحياة فى الفتى, وسرت الدمـــاء فى عروقه , وانتفض واقفــاً..يدق الأرض بقدميــه فى عزم وفتــوة.. يحرك ذراعيه بشكل دائرى ... فهرب عنه الذباب .....







فى هذه اللحظة مــرّ رجلٌ ثريٌ ميسور الحال ولمح الفتى..وإذا به ينجذب إليه.. قال لــه.. هل لك أن تصحبنى ؟ ..
ردّ الفتى: يطيب لى هذا..ومضى يسير بصحبتـــه.
كان ذلك الرجل الثرىّ فى دهشة من أمر هذا الفتى المسكين الذى لازمه البؤس والفــقر،، وأثناء سيرهما على الطريق
سأله: من أنت.؟ كيف حالك ؟ وماذا تعمل.؟
- أنا عاطل..بلا عمل.. وحالى كما تــرى.
وليس لى فى الحىّ إلا الحىّ سبحانه وتعالى.

مضى به الرجل إلى بيته والذى هو مثل قصر.. تحيط به حديقــة عامرة وعندما وصلا. سلمه الرجل الثرى إلى الخدم ليأخذوه إلى الحمام .. لكى يزيلوا ما لصق بجسمه من أوساخ وقاذورات.. ثم ألبسوه ثيــاباً جديـــدة..جميـلة ومعطرة.... بدى الشاب حليقاً أنيقاً وقد ازداد شباباً على شبابه.. وكــأنه من أغنياء القوم . قدموا لــه وجبةً دسمة . وأعطاه الثرى كيساً يحتوى على ألف دينار.

فرح الشاب فرحاً كبيراً، وشعر أن الحــظ قد أقبل عليه ليغير من حالــه.. ومضى إلى السوق حيث استأجــر دكاناً.. واشترى كيسين كبيرين من الحمص والفول .. وراح يقلى هذه الحبات مضيفاً إليها القليل من السكر..



أقبل الناس. خاصةً الأطفال على هذا الذى يصنعه إقبالا كبيراً. ووقفوا فى صفوف يشترون منه.. ويستمتعون بمذاقه.. إشتهر الشاب وكثر رواده اتسع دكانه وزاد من مساحته، وتوالى نجاحه..،
سمعت به وصيفة الأميرة فذهبت إليه واشترت كيسين حملتهما إلى الأميرة.
وعندما ذاقت الحيات هتفت للوصيفة:
- من أين أتيت بهذا ..؟ إنه لذيذ الطعم ،حلو المذاق.. أشكرك.. أشكرك أرجو أن تأتينى به كل يوم.. وسوف أكافئك على هذا .

فرحت الوصيفة لأنها استطاعت أن تُرضى الأميرة واستجابت لما أمرتها به.. وصارت تتردد على الدكان لتحمل منه ما أحبته الأميرة وأقبلت عليه.. وقد أصبحت الوصيفة الوسيمة ضيفاً دائماً على الدكان.
تعرّف عليها الشاب الصغير صاحب الدكان..وأنس لها وأنست له ، وصار يصنع لها ما تحمله للأميرة بيديه .. يتقنه ويتفنن فيه.

سأل الشاب نفسه: إذا كانت الوصيفة وسيمة ولطيفة إلى هذا الحد .. فكيف حال الأميرة إذن..؟

أهدت الأميرة بعضاً من من هذا الذى تأتى به الوصيفة إلى صاحباتها وحاشيتها وجواريها.. الذين أحبوه




حمّاص المدينة

كانت الوصيفة تأتى من عند الشاب الصغير وتحكى للأميرة عن أدبه وذوقه ورقته وكرمه. خاصةً بعد أن اعتذر عن تقاضى ثمن بضاعته , وسأل أن تقبلها الأميرة كهديـــة.. وقد اندهشت الأميرة أن يعمل هذا الشاب (حمّـاص) وأتت بكيس نقــود به مــائة ألف دينار.. ودفعت بــه للوصيفة ... وقالت لهـــا:

– سلمى هذا للشاب , وقــولى له أن يغيّـــر من هـــذه الصنعـــة , لأنهـــا لا تليق بــه, وأن عليه أن يجـــد لنفســه مهنـــة أفضـــل.

وعندما نقلت إليه الوصيفة رسالة الأميرة , وأعطته كيس الدنانيـــر قــــام بتصفية الدكـــان, وأهدى كل مـــا فيــه للنـــاس ودون مقـــابل, وأغلق أبوابـــه.. وبـــدأ يستثمـــر المـــال الذى حصل عليـــه من الأميرة فى إنشــاء سلسلـــة من المتـــاجر الفاخـــرة , يأتى لـــها بأغـــلى الأقمشـــة والحرير من مدينـــة الإسكندريـــة فى سفن يتوالـــى وصولـــها ... وأقام لنفسه قصـــراً واختـــاره التجـــار كبيراً لهـــم رغم صغـــر سنـــه.. وبذلك أصبح لـــه شـــأن كبير ونفـــوذ واســـع,, بل ويُستقبَل فى كل مكـــان بالإجلال والإحترام...



وذات يوم ذهبت الوصيفة إليــه تحمل رسالة أخـــرى من الأميرة.. تقول فيها: قـــابل أبى السلطان واخطـــبنى منـــه.

هتف الشاب بينـــه وبين نفســه..

– أنـــا...؟ أنا الذى كنت حتى وقت قريب مجرد (حمّـــاص) .؟ ومن قبل ذلك بقليل كنت بائســاً فقيراً وسىء الحـــظ يقبل علىّ الذبـــاب..؟



لم يطلع بالشاب التفكير..فهو يشعر أن السعد يساعده ويسانده. فارتدى أجمل الثياب وأغلاها ومضى في عربته التي تجرها الخيول إلى أن وصل إلى باب قصر السلطان..احتفى بـه مستقبلوه وحاشية الأميرة من الفتيات الجميلات ينثرن عليه الورود كما عزفت الموسيقى مرحبة بالزائر الشاب.

استقبله السلطان بمودة وترحاب وأجلسه بجانبه.. ثم سأله السلطان : ما هي قضيتك أيها الشاب..؟ . كان الشاب قد أعَدّ في رأسه الكلمات التي سيقولها إلى السلطان.. إلا أنها تبخرت.. وسكت.. فما كان من السلطان إلا أن يشجع الشاب للكلام قائلاً: قضيتك أيها الشاب مقضية بإذن الله، فتكلم ..ولا تتردد

- جئتك يا مولاي خاطباً صاحبة السمو ابنتك وكريمتك..

رحّب السلطان بطلب الشاب ولكن لا بد من استشارة الأميرة ومعرفة رأيها وأشار السلطان إلى كبير الحرس وهمس في أذنه ببعض الكلمات، سارع بعدها إلى جناح الحريم ينقل ما سمعه من السلطان إلى الأميرة .



وبدأ السلطان في حديث طويل مع الشاب وسأله عن حاله، وماله وما يدور بين الناس وما يشكون منه وما هي مشاكلهم إلى أن عاد المبعوث بموافقة الأميرة ، همس بها للسلطان. بعدها.. قال السلطان: مبارك لك وعلى بركة الله

وفي حفل كبير دُعِيَ إليه أعيان المدينة تم زواج الأميرة إلى الشاب الصغير....



كان الضيق قد وصل إلى منتهاه مع (البؤس) فقال: أيها (السعد) لقد أغدقت على الشاب كثيراً ... كفاك .. وما هى إلا لحظات إلا و هجم (البؤس على السعد) وأطاح بـه بعيداً.

بدأ الشاب يسير فى طرقات المدينة وأسواقها على غير هدى.. وكأنه فاقد الرشد أزعج الناس.. فطاردوه ليهرب إلى القصر.. يدخل إلى حجرة عروسه الأميرة وهى فى كامل زينتها ليفاجأها بضربة فوق رأسها أطاحت بها أرضاً ثم تركها فاقدة الوعى، وخرج وأغلق عليها باب الحجرة..

وعلا نداء الجوارى يدعوه للعشاء.. وقد مُدّت الموائد وازدهرت بما لذّ وطاب من طعام وشراب. جلس السلطان ومن حوله جمع من الوزراء وشيخ الإسلام وقناصل الدول وأكابر المدينة وأعيانها فى انتظار العريس الشاب. وبدون تحية السلطان والحاضرين .. إتجه الشاب مباشرة إلى المائدة وانتزع رغيفاً من الخبز وراح يقطعه قطعاً صغيرة. يغمزها فى كل طبق ويضعها فى فمه. والجميع ينظرون إليه فى ضيق وتعجب من سلوكه الشاذ والذى لا يعرفون لـه سبباً ولا تفسيراً. إنزعج الحاضرون وراحوا يغادرون المكان واختلط الحابل بالنابل واستشاط السلطان غضباً وصرخ فى الحرس اقبضوا على هذا المعتوه وألقوا بـه فى السجن أحاط به الحراس وأمسكوا بـه من يديه وقدميه وحملوه ليقذفوا بـه وراء القضبان ,,,,





وقف الشاب وراء القضبان ذليلاً مسكيناً وقد ركبه الذل والهم والبؤس الذى وضع ساقيه متشابكتين خلف رأس الشاب ورقبته...

بقى الشاب فى مكانه خلف القضبان زمناً طويلاً إلى أن نسيه الناس والسلطان بل جميع من فى القصر دخل(السعد) إليه ليجده على هذه الصورة المؤلمة فطلب من (البؤس) أن يخلى سبيله ويطلق سراحه ويكتفى بما لحقه من عناء.. فى هذه اللحظة تذكره السلطان وسأل عنه: كيف حال الشاب المسجون.؟



سمع السلطان من حراس السجن ما وصل إليه الحـال بالشاب الصغير من بؤس وشقاء مما جعله يرق لحالـه ويعطف عليه..طلب السلطان من الحراس أن يحضروا الشاب إلى مجلسـه.

جاء الشاب ولا تكاد قدماه قادرة على حمله.محنى الرأس والظهر..و (السعد) يفسح له الطريق , ليلقاه السلطان بنظرة غاضبة.. ويبادره بالصراخ فى وجهـه:

- ما هذا الذى فعلته بابنتى ومع ضيوفى يوم العرس ؟ هل فقدت عقلك..؟ هل أصابك الجنون..؟

قال الشاب : دعنى يا مولاى أفسـر لك ما حـدث إذا ركب البؤس والفقر كتفى إنسان فذلك له أسبابه فيما أرى أن الفقيـر مسئول عن فقـره لأنه لا يتقن عمله..وهناك من يقول إنه الحظ.

- ماذا تعنى بكلمه الحـظ ؟



- الصدفة التى تجعل بعض الناس يولدون وفى أفواههم ملعقة من ذهب مثلك يا مـولاى أو من فضـة أو من صفيح أو خشب أو دون ملعقـة على الإطلاق مثلى..

- لكـن مع ذلك تزوجت بنت السلطان

_ ومع ذلك كان مصيرى السجن وبلا ذنب

قال السلطان: ألا تستحق العقـــاب على ما فعلت..؟

- أنا ما أخطأت فى شئ يا مولاى

- دعنى من هذا الآن.. حدثنى عن المال والفقـر..

- أجل ما قالوا إن هناك أناساً يعيشون فى فقر خوفاً من الفقر..مثل البخلاء الذين يكنـــزون الذهب والفضـه ويربطون أيديهم الى أعناقـهم ولا ينفقـــون شيئاً على الخيـــر.

- وما هو الحل مع هؤلاء..؟

- لا أدرى.. ولا أعرف الحل مع من لا يرغبون فى أن يسيل عرق جبينهم . وهناك الغشـــاشون الذين يكذبــون ويسرقون..وهناك أيضاً من لا يستقر فى جيبه درهم واحـــد ويبـــذر تبذيراً.

حكايات الناس مع المال ومشاكلـــه طويلة ومعقـــدة ولم يستطع رأس المـــال ولا الحكـــومات حلهـــا.. وما من سبيل إلا الإسلام والدين

سادَ الصمت قليلاً.. قطعــــه السلطان بقولـــه..

- أنت تدّعى بأنك قد أودعت السجن ظلمـــاً.. ألم تضرب ابنتى ..؟

- لا ..لا ..يا مولاى لو أنكم اهتممتم بما عثروا عليـــه فى فراشهـــا لأدركتم براءتى.. إذ أننى ضربت عقربـــاً كان يزحف نحوهـــا.. فقتلتــه لكى أنقذها ومـــا كان بمقدورى أن أتفاداهــــا بالكامل..

- ماذا..؟ قال السلطان.. أنا ما سمعت قط عن هذا العقرب

استدعى السلطان كبير الحراس وسألـــه إن كانـــوا قد عثــروا على عقـــرب مقتول فى غرفــــة الأميـــرة ..؟

شهـــد قائد الحراس بأنـــه شاهد العقرب المقتول بعينيـــه. ولم يعرف كيف وصل العقرب إلى فراش الأميرة ومن قام بقتلـــه

تطلع السلطان إلى الشاب بامتنان، فقد أنقـــذ هذا الشاب ابنته من الموت..



فجـأة.. تذكرَ السلطان شيئاً آخر فقفز إلى ذهنـه

- وما هذه الفوضى وهذا السلوك الذى بدر منك على المائدة..؟ أليست هذه جريمة فى حق ضيوفى..؟

- لا ياًمولاى، ما فعلته أنى قد منعت جريمة كـادت أن تحدث لذلك رحت أتذوق ما وضعوه على المائـدة خشية أن يكون أحـدهم قد وضع السّمَ فى الطعام، ويتسبب هذا فى موت أحد من الضيوف، ويقال إنه قد لقى مصرعه على مائدة السلطان فى ليلة عرس ابنته.

- وهل نما إلى علمك شيء من هذا القبيل..؟

- نعم يا مـولاى فقررت أن أضحى بنفسى إذا صح هذا القـول



فتح السلطان فمه دهشةً.. هل كان الشاب مخلصاً له ولابنته إلى هذا الحدّ. لقد ظلمته حقّاً عندما ألقيت به فى السجن. فأمـر بأن يُدخلوا الشاب الحمام وأن يزيلوا عنه أوساخ السجن. وأن يُلبسوه ثياباً أنيقةً. ثم ذهب إلى حجرة ابنته وحكى لها مـا دار بينه وبين الشاب وما هى إلا ساعة وكان السلطان والشاب فى غرفة الأميرة. وجـاد (السعد) عليهم بالفرح والسعادة ولم ينس السلطان حديث المال والفقر..وعمل من أجـل ألا يكون فى بلده فقيراً حتى لو فرغت خزينة السلطان

السعد وعد



تزوجَ الشاب بفتاة أصغر منه وراحا ينجبان العيال كأنهما أرنبـان إلى أن اكتـظ البيت بالبنات والأولاد.. هذا يقفز فوق كتف أبيه .. وهذه تتعلق بأقدام أمهـا.. واحد يغلق الباب بعنف والثانى يفتحه بقوة، هذا يضرب ذاك والآخر يلقيه أرضـًا.. صراخ وصياح وعويل.. والأب والأم لا حول لهما ولا قـوة خاصة عندما يجوع هذا الجيش الصغير من العيال.. يتخاطفون الطعام الذى لا يكفى لإشباعهم، يخرج الأب باحثـًا عن عمل.. وتطرد الأم العيال إلى الحـارة لتلتقط أنفاسهـا.. ولكن سريعًا ما يصل إلى سمعهـا صراخ العيال وصيـاح المارة الذين يحاولون دخول الحارة أو الخروج منهـا.

هكذا تحكى الحدوتـة أو الحكايـة الشعبية عن زوجين أنجبا (قبيلة) بأكملها وهى قصة تضحك وتبكى وتتناقلها الأمثال الشعبية.. وهذه بدورها تعـارض بعضها البعض.. تتناقض وتختلف أو ربمـا تتشاجر هى الأخرى ..

وقد قـالوا فى الأمثـال:

(ولدهم... وما ولدت رزق واحـد منهم)

(إصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب).. ولم يأت من الغيب شيئ

(القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود)

(من جاور السعيـد .. يسعـد)



قالها السندباد الشيال وهـو يلقى على الأرض حمله الثقيل.. وجلس يسند ظهره إلى سور قصر السندباد البحرى

وقالوا:{ ربنا يهنى (سعيد) بـ(سعيدة) }

فمن هو هـذا السعيد ومن هى سعيدة ؟ وهل السعد وعد.. وماذا عن البؤس والغلب ..؟

نختار..لأن الشاعر الكبير قال لنا:
(لا تشترى العبد إلا والعصا معه)
ولكن العبد كسر العصا وألهب بها ظهر مالكه وصاح:
{ كيف استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا ..؟ }



فكر الشاب طويلاً.. ثم قال لنفسه، ولزوجته من بعد.

أريد أن أقلل وأخفف من أعداد أسرتنا.. صرخت الزوجة مقاطعة.. ما هذا الذى تقوله..؟ ماذا يمكنك أن تفعل بعيالنا..؟ هل تأخذهم إلى الغابة وتتركهم كما تقول الحكايات الشعبية..؟

لا... لا.. لن أفعل بهم هذا.. إننى أحبهم وأريد أن أضحى بنفسى من أجلهم ولذلك أنا أفكر فى أن أتطوع جندياً فى جيش بلادنا

صاحت الزوجة: ما هذا الذى تقوله ؟

– يريد بلدنا الحبيب تقوية الجيش بقبول متطوعين جدد.. لأن هناك طامعين فى أرضنا وثرواتنا

– وتترك لى هذا الجيش من العيال أرعاهم وحدى..؟

– دعينى أوضح لك الأمر.. أنا لم أعد قادراً على القيام بنفقاتهم.. فأنا لست فلاحاً أزرع الأرض أو صاحب حرفة أو مهنة ولا أصلح أن أكون تاجراً لأن هذا يتطلب رأس مال.. فى نفس الوقت أرى أنه من الممكن أن أكون جندياً حقيقياً فى الجيش.



– أنت فعلاً تصلح لهذا.. ولكن..

– دعينى أكمل.. أرجوك.. السلطان أصبح يخفف من قبضته على المال. ويعطى الجنود راتباً مجزياً سأعطيه لك وللعيال. أما أنا فالجيش مسئول عن طعامنا وكسوتنا. كما أن طعام الجنود أفضل كثيراً من طعامنا الآن

– لكنى سأحرم منك أنا وأولادى

– أنا أيضاً.. سأحرم منكم. ولكن سنلتقى فى العطلات والأجازات

أصبح الشاب جنديًا فى جيش بلده.... هناك كلمات نسمعها, وهى أحيانا دون غيرها تبقى وتتردد على آذاننا, ولا ندرى لمـاذا..هل لأنهـا مهمة. هل جاءت على وتر حساس..؟ بين حين وآخر تخطر على باله عبارة زوجته قبل تطوعه فى الجيش : قم بواجبك على خير وجه من أجل بلدك وولدك..

لماذا هذه العبارات بالذات..؟ هل كان فى حاجة إليها..؟ أليس مفروضًا علينا أن نتقن ما نقوم به من أعمال..؟ الطريف أن الشاب كان لا يستعيد هذه الكلمات فقط بصوت زوجته, ولكنها بدت له مكتوبة ومعلقة أمام عينيه فى خيمتـه.. وأحيانـاً يراها فى الأفق كأنها مكتوبة بحروف من نـور. وكثيرًا ما يرفع إليها بصره وكفيه سائلا الله الرشد والهداية واللطف فى قضائه..

بدأ يتحدث إلى نفسه دون أن يكون له صوت ومن غير أن يحرك شفتيه.

مـا هو واجب الجندى..؟

{أن يحب بلده أكثر مما يحب نفسه وأن يفتديـه بحياته.. وأن يكون شجاعـًا مقدامًا, منتظمًا فى الصفوف حريصًا على أداء التدريبات, محـافظًا على سلاحه.ويجب على الجندى أن يكون حليقًا نظيفًا فى ثيابه ومظهره لكى ينفذ ذلك إلى داخله.}

هكذا كان حديثه إلى نفسه. وإذا بـه يلزم نفسه بكل هذا الذى خطر له.. فهو أول من يستيقظ فى الصباح..وأول من يقف فى الطابـور..وأول من يتقن التدريبات العسكرية وأول زملائـه فى أداء واجبه على خير وجـه...



أصدر الضابط أوامره للجنود أن ينظفوا ساحة التدريب، وأن يستعدوا لاستقبال السلطان وقائد الجيش القادمين للتفتيش على الجنود.. ولمعرفة مدى تدريبهم على أسلحتهم..

عمد الجند على غسل ملابسهم ونشرها لكي تجف قبل العرض العسكري وقام سيف الدين.. وهو إسم بطلنا الذي فاتنا أن نذكره . بهذه المهمة على أكمل وجه.. وكان الجو بارداً.. فما كان منه إلا أن ترك الملابس معلقة على الأشجار ودخل إلى كهف مظلم ينتظر ثيابه حتى تجف..

وفي الكهف لم يكن يستطيع أن يرى شيئاً. فجلس في هدوء وصبر وقد أغلق عينيه راغباً في النوم.. لكنه بعد قليل أحس بحركة من حوله.. إندهش لها وخاف أن يكون هناك حيوان يؤذيه.. ففتح عينيه وفمه قائلاً: .. من هناك..؟

وعندما لم يتلق رداً سريعاً أعاد السؤال وبصوت أعلى.. وسمع صوتا يجيبه..

أنا سعدك.. أنا حظك.. وقد أيقظتني من نومي- فدهش سيف الدين وسأل: لماذا أنت نائم هنا..؟ بينما تقلقني الحياة وترهقني..؟

- أنا الذي يجب أن أطرح عليك هذا السؤال

- دعنا من هذا. وأخبرني عن حظي وسعدي وما هو قادم مع الأيام..؟

- أتظنني قادر على هذا..؟

- أنا أعرف أن الله وحده القادر على ذلك.. لكن يمكنك أن تستشف شيئاً وتخبرني به

- لقد أيقظتني من نومي الطويل، وكل ما أستطيعه منذ الآن هو أن أعينك وأساعدك

في هذه اللحظة إرتفع صوت بوق عال يدعو الجنود للتجمع



إنطلق سيف الدين إلى خـارج الكهف واختطف ثيابـه وراح يرتديهـا فى عجل , وجرى ليتخذ مكانه فى الطابور ,وكان أول من وصل إليه, وكان الضابط يرقبه ويرمقه فى إعجاب ورضى..وابتسم له مشجعـًا.

كانت الموسيقى فى استقبال السلطان وقائد الجيش , وعُزِفَ السلامُ الوطنى . وارتفع العلم ليخفق ويرفرف.. أدى الجنود التحية العسكرية فى احترام وإجلال وبدأ السلطان يستعرض طابور الجنود والضابط يحدثه ويقدم له بعضهم.. إلى أن توقف عند سيف الدين وقد وقف مستقيمًا صلبًا.وملامح الجدية تظهر على وجهه همس الضابط: هذا يا مولاى سيف الدين أفضل جنودنا.. لم يتغيب يومًا عن الطابور , ويؤدى التدريبات على أكمل وجه.. وما تأخر يوما عن أداء واجبه أدّى سيف الدين التحية العسكرية .. إبتسم السلطان وامتدت يده لتصافحه قائلاً:.. حسنـًـا .. يرقى لرتبـة ضابط



رد سيف الدين التحية حين أمره الضابط أن يتقدم الطابور بخطوة واحدة.. ووضع له على كتفه نجمة وعلى ذراعه شريط ملون يعلن ترقيته .
وبعد انصراف السلطان وانتهاء الإستعراض أقبل الجند على سيف الدين يقدمون له التهنئة .. يحتضنوه ويقبلونه.
هو يستحق الترقية.. وها هى أيـــام السعد تلوح فى الأفق كما يظن البعض.. وحقيقة الأمر أنه حصل على ثمرة جهده وعمله وانضباطه .وأنه لا صلة بين هذا وبين من لقيه فى الكهف وقال إنه سعده وحظه وإنه استيقظ لكى يساعده .

زاد راتب سيف الدين زيادةً كبيرةً مكّنتـــه من بناء بيت كبير يتسع لعائلته الكبيرة وضع فيه أثاثـــًا جميلاً، وجعل كل شيئ يليق به كضابط له مكانته..



وفجأة أعلنت جارة لبلاده الحرب عليها طامعة فى الاستيلاء على أرضها وثرواتها . وبذل سيف الدين جهودًا كبيرة فى الدفاع عن وطنه وخاض معارك حامية لصد الأعداء، وإجلائهم عن أرضه..

ورغب السلطان فى عقاب الجارة المعتدية وإزالتها تمامًا من الوجود لتأمين حدود بلاده

ولكن يبدو أن سيف الدين كان له رأى آخر



صدرت الأوامر إلى سيف الدين أن يعبر الحدود ويغير على هذه الجارة المعتدية... فطلب سيف الدين مددًا ومزيدًا من السلاح والجنود... وتأخر وصول ما قد طلبه..وتراخى هو في تنفيذ الخطة ومواصلة القتال...

في هذه اللحظة خطر بباله أن ينتهز الفرصة ويذهب إلى الكهف لكي يلقى (سعده) خاصةً وأنه قد رُقّيَ خلال الحرب ترقيةً كبيرةً .. وصل بها إلى مرتبة نائب القائد...



دخل سيف الدين إلى الكهف الذى يقيم فيه حطه.. المكان مظلم ساكن.. بقى سيف الدين بعض الوقت إلى أن استطاعت عيناه أن تلمح الأشياء.. راح يتطلع هنا وهناك على أمل أن يجد حطه حيث تركه جالساً مستيقظاً.. إلا أنه فوجئ به وقد انكب على وجهه، ووقع على جبينه.. جزع سيف الدين لهذا الذى أبصره.. فسارع لكى يقيمه من سقطته ويعدل من وضعه.. إلا أن ذلك قد صعب عليه..

بذل سيف الدين جهداً كبيراً.. لكن من ذا الذى يقدر على تغيير وضع سعده واصلاح ما أحدثه الدهر...

توقف لكى يلتقط أنفاسه. ولكى يستريح من أجل أن يحاول من جديد فهو يعلم عن يقين أن: لا يأس مع الحياة.. ولا حياة مع اليأس

بعد قليل، دب فيه النشاط مرة أخرى.. فعاد يحاول بأقصى ما يستطيع إلا أنه فى هذه اللحظة إرتفع صوت نافخ البوق.. يغنون له..

(على عليوه.. ضرب الزميره.. ضربها حربى.. رنت فى قلبى)

ترك كل شيئ على ما هو عليه وغادر الكهف وهو يشعر أنه قد أضاع الكثير من الوقت. وأن عليه أن يسارع ليكون فى الميدان. يصدر أوامره إلى جنده ليواصلوا القتال. وقدكان يدعو الله أن يكون المدد قد وصل ليساعده على قتال الجار الطامع فى بلاده...





عندما خرج سيف الدين من ظلام الكهف إلى النـور غشيت عيناه مما اضطره إلى أن يغمضهمـا ويتوقف .. فهو لا يدرى إلى أين يتجـه وفتحهما...وأغلقهما عـدّة مـرات إلى أن تمكن من أن يستدل على مكانه ويأخـذ طريقـه إلى حيث يتجمع الجند...كان يرجـو أن يصل إليهم قبل القائـد العـام.. وهنا سأل نفسه : هل انتهى سعدى وجاء وعـدى..؟



وقف سيف الدين يراقب جنده وهم يجتمعون فى صفوف متراصة.. وفى أيديهم أسلحتهم..
وصوت من داخله يسأله:
أتذهب لترى سعدك وتنسى واجبك ووطنك..؟
هؤلاء الذين اعتـدوا على أرضك وشـردوا أهلك .. هل تسكت عليهم..؟

وصل القائد العام ليهمس فى أذنـه..: السلطان سأل عنك..
- أنا حـاضر ومستعـد
إنتظم الجميع ووقف سيف الدين يقول للجند.: كـونوا إعصـارا
سمعـه الجند واعتبروا ما قاله بمثابـة أمر واجب عليهم طاعتـه. وإذا هم يهبون كالعاصفة تجتاح كل ما هو أمـامها. يحطمون تحصينات العـدو وخطوط دفاعاته مطهرين الأرض ممن عليها وما عليها..
إرتفعت رايات الإنتصار على كل بقعة من الأرض المحرّرة ..وعـاد إليها أصحاب الأرض يعيدون إليها خضرتها من أشجار الزيتون والبرتقـال والليمون والكروم

زار السلطان الأرض المحرّرة، وأصدر أوامره ببناء قصر فخم ، ظن الجميع أن القصر سيكون لـه، وإذا به هدية السلطان لسيف الدين وعائلتـه ..





كبر سيف الدين..وكبر أبناؤه الكثيرون
وراح كل منهم يتطلع لأن يكون
جندياً.. من شابه أباه فما ظلم .
نظرت الزوجة إلى أولادها ..والقصر
والحديقة وقالت لزوجها سيف الدين..
العيال هم أكبر ثروه يملكها الإنسان ..
أجاب سيف الدين : إذا نحن ربيناهم على أن يكونوا
إيجابيين ومنتجين ويعملون لصالح
وطنهم وأنفسهم . واستثمروا
فيها أشجار الزيتون والبرتقال
والليمون والكروم.
قالت الزوجة : صدقت
قال أصغر الأبناء:
طظ فى الحظ


العقل و الحظ

كان (الحظ) يتجول كعادته فى بلاد الله الواسعة, يبتسم فى وجوه بعض الناس فيسعدون ويبتهجون,لأن الحيــاة تقبل عليهم, والخير يأتيهم من كل مكان.. ثم يلتقىمع آخرين وهو عابساً فينقلب حالهم رأساً على عقب, يحط عليهم البؤس ويعانون مالا قدرةَ لهم على احتماله.. يئنون ويتوجعون وترتفع أصواتهم بالشكوى

كان (العقل) يراقب الذى يحدث ويندهش لما يجرى بين الناس بسبب الحظ الذى لا يقر له قرار, ولا يثبت على حال.. فمــا كان منه إلا أن ناداه فى أدب ورقّــة .. وقال له: ما هــذا الذى تفعله يا عزيزى الحظ..؟ أجاب الحظ.: من تكون أنت..؟ وماذا تريد منى..؟ ... أنا العقل...آه لقــد سمعت عنك كثيراً... أنت تفكر .. ثم تفكر وتفكر لا أكثر من أن تفكر...وهذا لا يأتى إلا بالصداع.

أجاب العقل..: إن التفكير يهدى الناس إلى الطريق الصحيح فيسلموا ويسعدوا أطلق الحظ ضحكــةً عاليــةً ساخرة. أدهشت العقل وانتظر صامتـًا لعل الحظ يفسـر لــه سبب ضحكــه..؟

– أتظن حقًا أنك بالتفكير تسعدهم..؟

– أعتقــــد هــذا

– بل أنا الذى أقوم بذلك والجميع يتمنوننى ويرجون أن أكون من نصيبهم .



- لو أنهم أحسنوا التفكير وأمعنوا فيه ما قام أحـد بانتظارك أبـداً
ضحك الحظ من جديد قائلاً: إن قولك هذا هو عين الباطل. بل إنني أتحداك..وإذا كنت واثقاً من كلامك هذا دعنا ندخل في رهان...وليكن هذا الفلاح الذى يعمل فى حقله موضع مواجهتنا.. ليكن.. هيا نبدأ

كان ذلك الفلاح العربي يحرث أرضه تحت أشعة الشمس المحرقة ,كان يرتدى ثـوبًا مرقعًا من فوق جلده الذى التحم بعظمه, والتصق ظهره بصدره حتى صار هيكلاً عظميًا... ومن الواضح أنه ورث ثوبه وشاله ومحراثه وقطعة الأرض عن والد جـــده..

قيأ الحظ لكي يؤدى دوره ويقوم بلعبته..وابتسم للرجل ابتسامة عريضة لم ينتبه لها الفلاح لأنه كان ينظر إلى سن محراثه وقد توقف عن شق الأرض.ركع الفلاح على ركبتيه وراح يحفر بيديه فى التراب باحثاً عما يعترض محراثه.. واذا بحلقـــة حديدية مدفونة..أدهشه مرآها فراح يزيل ما عليها وما حولها.. فوجدها متصلة بقطعة كبيرة من الرخام.. وبجهد شاق .. وبعد عدد من المحاولات إستطاع أن يرفعها من موضعها ويلقى بها بعيداً..وكانت المفاجأة التى لم تصدقها عيناه.





كان هناك سُلم حجرى
من عدّة درجات. تشجع وهبط عليها فى
حذر شديد. وإذا به أمام ساحة واسعة تحيط بها أربع
قاعات متقابلة..إتجه نحـــو واحدة منها وإذا به يجد نفسه
أمام كنوز من الذهب والفضة والماس والياقوت ما رأت
عين له مثيلاً ولا شبيهـــاً.. طاف بالقاعات الأربع ليجد
نفس الشيئ, ما كل هذا..؟ هل له قيمة,,؟ هل يؤكل..؟
هل يلبس..؟ دار هذا السؤال فى نفسه لأنه لم يسبق أن
رأى شيئاً من هذا القبيل...
لمح ما يشبه الشجرة , كانت لها أغصان وفروع تضيئ
وتتلألأ . مد يده وقطف فرعًا صغيراً رشقه فى الشال
القذر الذى يغطى به رأسه.. وترك كل شيئ على ما هو
عليه وصعد الدرج إلى أن وجد نفسه على أرضه, ومحراثه
ملقى بجانب قطعة الرخام التى أزاحها من قبل.بسرعه أعاد
قطعة الرخام إلى وضعها الأول,,وغطى كل شيئ بالتراب
واستعد لمغادرة المكان..
كان العقل والحظ يراقبان الرجل فى دهشة..
قال العقل: لو أن لهذا الرجل عقلاً لملأ جيوبه بالمجوهرات
رد الحظ:اصبر وانتظر.. ما زال عندى ما أفعله...

خرج سلطان هذا البلد ومعه وزيره وبعض رجال الحاشية للصيد.. فى نفس ذلك الصباح الباكر الذى التقى فيه العقل مع الحظ.. وتبادلا حوارهما الحاد ، وكل منهما يدعى أنه أفضل من الآخر ، وتنافسا على هذا الفلاح ليثبت كلاهما تفوقه على الآخر .

فجأة أوقف السلطان حصانه ، وتبعه الوزير هو الآخر.. فمن العيب أن لا يتبع ما فعله السلطان.. ثم قال. هل من شيئ يا مولاى..؟

– نعم.. إنى أرى ضوءاً مبهراً يأتى من وراء هذه الأشجار..

وأشار بيده.. وتابع الوزير الإشارة,, فوجد نفسه يضع يديه على عينيه وقد أغمضهما..

– غريب أن يشع هذا النور فى وضح النهار.. إنه أقوى من ضوء الشمس

– هذا ما جعلنى أتوقف لأعرف مصدره..

فى هذه اللحظة ظهر الفلاح وعند رأسه يشع الغصن الذى قطعه من شجرة اللؤلؤ والمرجان.. و ما إن أسرع السلطان والوزير والحاشية إلى المكان حتى أداروا وجوههم وعيونهم إلى الناحية الأخرى.

وارتفع صوت السلطان يسأل الفلاح: من أين لك بهذا الذى يضيئ ويلمع فوق رأسك..؟



قال الفلاح وهو يحنى رأسه إجلالاً للسلطان.. من تحت الأرض فى حقلى يا مولاى
- ماذا ؟ هل يمكن أن يكون هذا الشيء مدفونـاً تحت الأرض..؟
- نعم يا مولاى.. تفضل معى لأريك شجرته
أمر السلطان أفراد الحاشية أن يقفوا فى أماكنهم .. وسار بصحبة وزيره من وراء الفلاح إلى أن وصلوا إلى الكنـز المدفون..هبط السلطان ووزيره على السلم الحجرى .. وهالهم ما لم تراه أعينهم من قبل .. إن هذه الكنوز تفوق ما يمتلكه السلطان فى جميع خزائنه..
- دبّرنى يا وزيرى .. ما العمل..؟
- التدابير لله يا مولاى.. نترك كل شيء على ما هو عليه.. وغداً نرسل ستمائة حصان لنقل كل هذا إلى خزائنكم يا مولاى..
فى اليوم التالى تم نقل هذه الكنوز إلى خزائن القصر تحت حراسة مشدّدة .. بعدها صار السلطان أغنى أغنياء الدنيـا ...





قال السلطان للوزير..ما العمل مع هذا الفلاح ..؟
دعك منه يا مولاى.. فهوجاهل لا يعرف قيمة ما عثر عليه
أجاب السلطان: ولو.. هو يستحق شيئاً كبيراً مقابل ما
كشفه لنــا .أجاب الوزير.إذن. زوجه ابنتك يا مولاى
- نعم الرأى .. إذهب وآتى بــه.
سار الوزير فى موكب كبير إلى حقل الفلاح ليجدوه مستمراً
فى حرث الأرض.. غافلاً عن كل شيء.وأدهشه هذا الموكب
الكبير وتساءل عن سببه..؟ طلب منه الوزير أن يترك ما فى
يديه . وصحبه مباشرة إلى قصر السلطان..
إنحنى الفلاح إجلالاً للسلطان الذى بادره قائلاً: ما رأيك..
لقد قررت أن أزوجك ابنتى الأميرة..؟
صرخ الفلاح :ماذا ؟ أنا أتزوج الأميرة.؟ وماذا أفعل مع
(مبروكة) إبنة عمى.. يومَ وُلدت خطبها لى أبى من شقيقه
إلتفت السلطان لوزيره.. ما العمل يا وزيرى..؟
- يا مولاى.. لقد قدم لك مهر ابنتك
وعلى الفور. أخذه الخدم إلى الحمام.. حيث أزالوا ما عليه من أوساخ
قد تراكمت بطول الزمن.. وألبسوه ثياباً غالية الثمن ..
ثم أخذوه إلى قاعه العرش حيث استقبله السلطان والوزراء بالترحاب
إنه سيتزوج ابنة السلطان
إرتفع صوت الوزير.. وكأن الحظ يضع الكلمات على لسانه..:
أيها الشهود.. أكتبوا عقد الزواج وضعوا فيه الصداق الذى
قدّمه الفلاح الشاب. وأقيموا الأفراح فى كل مكان.

وقد كان.. عمت الأفراح وخفقت الرايات الملوّنة فى أنحاء البلاد وتبارى المطربون والمطربات بأجمل الكلمات والألحـان..

أما الفلاح الشاب فهو فى واد آخـر.. أصبح لا يعى ما يدور من حـوله .. ولا يدركه.. وكل همّه يتركز فى (مبروكة) ابنة عمه وكلما نطق باسمها ضحك الحاضرون من غفلته عن الشرف الذى يضفيه عليه السلطان خاصة أن زواجه من بنت السلطان يجعلـه وريثـاً للعرش وسلطاناً فى مقتبل الأيام..

وفى يوم الزفاف عندما دخل غرفه النوم هاله ما فيها من أثاث وحرير ألقى بنفسه على السرير وإذا به يغوص فى وبره ولا يستطيع تخليص نفسه منه.. وضاق بالوسائد الحريرية وبريش النعام.. إن جسده لم يتقبل هذه الرفاهية.. وقرر أن ينام على الأرض حسب ما تعود عليه فى حقله.. فالأرض تطيب له.. فنحن منها ونعود إليها..وسرعان ما ارتفع صوت شخيره عالياً

وعندما استيقظ إتجه إلى غرفه الطعام حيث وجد الكثير من الأطباق فيها أقل القليل من أشياء لا تروق له .وتسـاءل. أين الكسكسى وطعامنا الذى يفتح الشهية.. وراح يخلط مـا فى الأطباق على بعضه عسى أن يجد ما يشتهيه.. إن السرير ليس مكان لنومه،.. والطعام ليس طعامـه فضاق بهذا كله .. وغادر القصر..

شعرت الأميرة بالحزن الشديد. لقد زهد عنها هذا الفلاح.. فما كان منها إلا أن تقرر الخلاص منه بأن يدس له الطاهى سُمـّاً فى طعامه .

هنـا صـاح العقل فى الحظ..: هـا أنت قد جئت به إلى باب القبر.. دعنى أتصرف الآن ..

رد الحظ.. تفضل وانقذه إذا استطعت..



بدأ العقل يتحمّل مسئوليته ويؤدى دوره.. بحث عن الفلاح فوجده قد ذهب إلى الحقل وطاف به ثم تركه وسار فى طرقات البلدة دون هدف .. فقام العقل بدفعه فى هدوء إلى دكّان الحلاق حيث قص له شعره.. بعدها دفع به إلى الحمّام حيث اغتسل بالمـاء والصابون. ثم ارتدى بعدها ثياباً نظيفه.. وتغير منظره وكأنه قد ولد من جديد. وقد أزيل من فوق عينيه حجاب كان يحول بينه وبين أمور الحيـاة عندئذ تذكر عروسه وواجبه فى أن يطمئن عليها.. فاشترى حليـة جميلة أهداها لعروسه وسألها عن حالها وحدثها بكلمات حلوة وهى تنظر إليه فى دهشة.. وبعد أن قضى معها بعض الوقت استأذن منها للقاء السلطان.. دخل قاعة العرش فى أدب وأدى التحية الواجبة وظل واقفـًا إلى أن أشار إليه السلطان بالجلوس، فاختار مقعداً بالقرب من السلطان وبدأ يتكلم بعقل وبرصانة بعد أن رتّب أفكاره..

– متى يا سيدى نكشف ونعلن عن هذا الرزق الذى ساقه الله إلينا..؟

وسكت ليرى أثر كلماته على وجه السلطان الذى بقى صامتاً ينتظرمنه أن يواصل كلماته.. فأضاف..: أريد أن أبنى قصراً للأميرة زوجتى،ولدىّ رغبة فى أن أشترى أرضاً زراعية أمارس فيها الزراعة بما عندى من خبرة وأن أبعث بالسفن التى تحمل أفضل إنتاجنا إلى مصر ونستورد منها أجمل ما عندهـا..تـونس توأمها وشقيقتها وحبيبتها على مدى التاريخ..

راح السلطان يهز رأسه مشجعاً وموافقًا على ما يقوله..

ومصـر التى عاصمتها القاهرة .. التى أسسها المعز لدين الله الفاطمى الذى أمر جوهر الصقلى. وهو ليس بصقلى.. بل تونسى عربى بتشييدها هى والأزهر الشريف . وأصبح الخضر حسين التونسى شيخه وإمامه



كان السلطانُ ينصت للفتى الفلاح كأنه يعزف موسيقى عذبة وجميلة.
وهو فى دهشة لهذة الأفكار .. كيف أتت هذا الشاب ... لقد نضج وأصبح عاقلاً يتحدث بلغة الحكمة. من الواضح ألها جاءته من طول عمله فى الحقل.. تطلع إليه السلطان فى إعجاب وقال..:

ما أعقلك ! لقد زال عن ذهنك ما كان يحول بينه وبين أن تبدع أفكارك هذه.. أنا لا أريدك فلاحـًا أو تاجرًا... بل شريكًا فى الحكم لتتدرب عليه وتخلفنى..(هتف الشاب..بعد عمر طويل مديد باذن الله) على ألا تحيد عن العدل والمساواة بين الناس... وعلى أن تفكر فيهم أكثر مما تفكر فى نفسك..

أحس الشاب أنه يجب أن يغادر ويترك السلطان لكى يمارس مسؤولياته كان العقل والحظ يتابعان ما يحدث ويسمعان ما يقال ويتتبعان خطوات الشاب متجهاً نحو عروسه.. فوجدها فى انتظاره باسمة وفرحة بقدومه.. فهمس فى أذنها..: لقد أدركت أنه لا حياة لى بدونك ..تسعدى أيامى وتجعليني قادراً على تحمل الأعباء والمسئوليات التى ستلقى على كتفى. راعيًا للناس.. وكل راع مسئول عن رعيته.. طوقها بذراعيه فحنان فضمته إلى صدرها....



وهنا قال العقل لرفيقه الحظ..: ألم أقل لك إن الاعتماد على الحظ لا يكفى ولا يجدى..
خفض الحظ من رأسه وبصره ثم قال..: الحق معك.. ما من فائدة منى إذا أنت لم تكن يقظًا معى وبجانبى.. وسوف أحاول أنا أيضاً أن أستخدم عقلى... لا شيئ فى الحياة يعلو على العقل.....